

## الدور الجهادي للخليفة الناصر لدين الله في توحيد جبهة العراق والقضاء على السلاجقة

أ.م.د. أركان طه عبد  
جامعة تكريت  
كلية التربية للبنات / قسم التاريخ

### المستخلص

لقد شهدت الخلافة الاسلامية في العصر العباسي الثاني في العراق خاصة أحداث تاريخية مهمة ، كان ابرزها ظهور البويهيين على مسرح الاحداث ومن ثم دخولهم بغداد سنة (334 - 447هـ). وما رافق ذلك من تردي الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية طيلة فترة تسلطهم على العراق ، ومن ثم استبدال التسلط البويهي على العراق بالسيطرة السلجوقية (447 - 590هـ) وقد اتسمت الاوضاع العامة في عهدهم بالفوضى والاضطراب نتيجة استبدادهم بالحكم ، ومنع الخلافة العباسية من القيام بدورها في الاشراف على إدارة شؤون الخلافة.

### Abstract

I have witnessed the Abbasid coliphate in the second Abbasid era in Iraq especialy important historical events. Most notable was Bayids appearance on the scene of the latest and than they anterad Baghdad a year (334447-AH). Combined with the deterioration of the political economic and social conditions for the darahion of profit from the violence in Iraq, and than replaced authoritianism Albueni on Iraq to control the seljuk (447590-AH) the geneval situation marked by the reigh of chaos and confusion as a result of their willingness governance, and prevent the Abbasid caliphate to play its rade in overseeing the manage of Cunsuccession.

## مقدمة

لقد شهدت الخلافة الإسلامية في العصر العباسي الثاني في العراق خاصة أحداث تاريخية مهمة، كان أبرزها ظهور البويهيون على مسرح الأحداث ومن ثم دخولهم بغداد سنة (334-447هـ). وما رافق ذلك من تردي الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية طيلة فترة تسلطهم على العراق أو من ثم استبدال التسلط البويهي على العراق بالسيطرة السلجوقية (447-590هـ) وقد اتسمت الأوضاع العامة في عهدهم بالفوضى والاضطراب نتيجة استبدادهم بالحكم، ومنع الخلافة العباسية من القيام بدورها في الإشراف على إدارة شؤون الخلافة. مما أدى إلى فساد الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية وترديها بسبب انشغال سلاطين السلاجقة بالصراع والتنافس على الحكم وتحول البلاد الإسلامية عامة والعراق خاصة إلى ساحات معارك وحروب وأعمال نهب وسلب ودمار مما أدى إلى استنزاف إمكانيات الأمة الإسلامية وإضعاف قدرتها على التصدي لهذه الأخطار الخارجية والداخلية.

لكن على الرغم من هذا كله برز عدد من الخلفاء العباسيين الذين تمكنوا من قيادة حركة المقاومة الباسلة ووضعوا حداً للنفوذ السلجوقي في العراق، كان من أبرزهم الخليفة الناصر لدين الله (575-622هـ) الذي استعادة في عهده الخلافة هيبتها واستقلالها بعد أن تم في عهد هذا الخليفة القضاء على آخر سلاطين السلاجقة في العراق، وهذا ما دفعني إلى اختيار (الدور الجهادي للخليفة الناصر لدين الله لتوحيد جبهة العراق والقضاء على السلاجقة) عنواناً للبحث، لتسليط الضوء على الدور البطولي الذي قام به الخليفة الناصر على

الرغم من إمكانيات الخلافة البسيطة في الوقوف بوجه السلاجقة ومقاومتهم واسترداد هيبته ومكانة الخلافة العباسية.

تضمن البحث فضلاً عن المقدمة أربعة محاور، اختص المحور الأول باسم الخليفة الناصر ونسبه، وتناول المحور الثاني خلافته، أما المحور الثالث فأختص بالخليفة الناصر والسياسة، وتضمن المحور الرابع الدور الجهادي للخليفة الناصر في القضاء على السلاجقة. أرجو من الله أن أكون قد وفقت في بحثي هذا انه نعم المولى ونعم النصير.

## المطلب الأول

### الناصر لدين الله (اسمه ونسبه)

هو أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله أبي المظفر يوسف بن المقتفي لأمر الله أبي عبد الله محمد بن المستظهر بالله أبي العباس أحمد أبي المقتدي بأمر الله أبي القاسم عبد الله بن الذخيرة محمد بن القائم بأمر الله أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله أبي العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق أبي أحمد بن محمد المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن هارون الرشيد بن المهدي محمد بن عبد الله أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي العباسي أمير المؤمنين، ولقب بالناصر لدين الله<sup>(1)</sup>. ولد في يوم الاثنين العاشر من رجب سنة 553هـ / 1156م<sup>(2)</sup>، وأمّه أم ولد تركية يقال لها زمرد<sup>(3)</sup>.

كان عمر الناصر عند توليه الخلافة اثنان وعشرون سنة<sup>(4)</sup>، وقد عرف الخليفة الناصر بكفاءته العالية وسياسته القوية في إدارة شؤون الدولة<sup>(5)</sup>.

### المطلب الثالث

#### ال خليفة الناصر لدين الله والسياسة

تولى الخليفة الناصر لدين الله الخلافة وحدود العراق الإدارية لا تتجاوز مناطق وسط العراق، إذ تمتد مناطق نفوذ الخليفة من تكريت شمالاً إلى البصرة جنوباً، ومن طريق خراسان شرقاً إلى الانبار غرباً<sup>(13)</sup>.

كما حصلت في عصره الكثير من الاضطرابات السياسية للدولة العباسية والعالم الإسلامي، حيث بدأت قوة السلاجقة بالتلاشي، ولاسيما بعد مرورها بفترة من الضمور والتمزق، فظهرت على حسابها عدد من الدول الجديدة في الشرق كان من أهمها الدولة الخوارزمية والتي كان على يدها نهاية سلاجقة العراق والدولة الغورية<sup>(14)</sup>.

واستطاعت الخلافة العباسية من إعادة مصر إلى أحضان الدولة العربية الإسلامية بجهود السلطان نور الدين محمود وقائديه أسد الدين شيركوه وصلاح الدين الأيوبي<sup>(15)</sup>.

كذلك برزت على مسرح الأحداث السياسية خلال هذا العصر قوة جديدة لا يستهان بها وهي المغول الذين هاجموا الدولة الخوارزمية وقوضوا بنيانها رغم قوتها سنة 628 هـ<sup>(16)</sup>.

في وسط تصارع هذه القوى وتضارب مصالحها كان على الخليفة الناصر تحديد موقفه ورسم سياسته لكي يحافظ على الخلافة العباسية واستقلالها، وأكثر من هذا لكي يفرض احترامه وهيئته على هذه القوى، ولم يكن ذلك بالأمر اليسير ولم يرضى الخليفة أن يقبع في بغداد وحدها ينتظر أن يدهامه الأعداء فيها، بل حاول الخروج بسياسته من حدودها لكي يسطر هيئته المعنوية على الأقل ويمنع من قد يفكر بمهاجمته وذلك بتأليب قوى

### المطلب الثاني : خلافته

بويح الخليفة بعد وفاة والده الخليفة المستضيء في ذي القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة<sup>(6)</sup>. ولم يزل الخليفة إلى أن مات سنة اثنان وعشرون وستمائة<sup>(7)</sup>.

وله من العمر تسع وستون سنه وشهران وعشرون يوماً، وكانت مدة خلافته سبعمائة وأربعين سنه إلا شهراً<sup>(8)</sup>.

ولم يرق أحد من الخلفاء العباسيين في الخلافة هذه المدة الطويلة ولم تطل مدة أحد من الخلفاء مطلقاً أكثر من المستنصر العبيدي أقام حكماً بمصر ستين سنة، وقد انتظم في نسبه أربعة عشر خليفة وولي عهد، وبقية الخلفاء العباسيين كلهم من أعمامه وبني عمه<sup>(9)</sup>.

كان الناصر لدين الله قد ملأ القلوب هبة وخيفة فكان يرهبه أهل الهند ومصر، كما يرهبه أهل بغداد، فأحيا بهيئته الخلافة وكانت قد ماتت بموت المعتصم، ثم ماتت بموته<sup>(10)</sup>.

وكان الملوك والأكابر بمصر والشام إذا جرى ذكره في خلوتهم خفضوا أصواتهم هيباً وإجلالاً<sup>(11)</sup>.

قال عنه ابن النجار: ((دانت السلاطين للناصر ودخل في طاعته من كان من المخالفين وذلت له العتاة والطغاة وانقهرت بسيفه الجبابرة واندحض أعداءه وكثر أنصاره وفتح البلاد العديدة وملك من المماليك ما لم يملكه أحد من تقدمه من الخلفاء والملوك وخطب له ببلاد الأندلس وبلاد الصين وكان أشد بني العباس تنصداً لهيبته الجبال وكان حسن الخلق لطيف الخلق كامل الظرف فصيح اللسان بليغ البيان، له التوقيعات المسددة والكلمات المؤيدة وكانت أيامه غرة في وجه الدهر وردة في تاج الفخر))<sup>(12)</sup>.

السلجوقي في خمسين غلاماً تركياً فقاتلهم ، فأهزم منهم ، ثم عبر إليهم في اليوم التالي بإتني غلام فلم يظفر بهم ، وقاموا بنهب محلة قطفنا ببغداد<sup>(27)</sup> . كذلك زاد خطر العيارين ببغداد في سنة 530 هـ وقتلوا من قدروا عليه ، ولما دخل العيارين دار الرقيق تبعهم الشحنة (القائد العسكري السلجوقي في بغداد) ودار بين أهل الحي والشحنة قتال واحترق عدد من الدور<sup>(28)</sup> .

وظل الأمر هكذا حتى جاء الخليفة الناصر لدين الله وهذب حركة العيارين والشطار أو حركة الفتيان وربطها بشخصه وجعل لها نظاماً خاصاً ، وفق تقاليد معروفة منها لبس سراويل الفتوة . وتناول الماء الممزوج بشيء من الملح وشد حزام في الوسط<sup>(29)</sup> .

فضلا عن إضفاء الصفة الشرعية عليها من خلال شخص الخليفة العباسي الهاشمي ، وكونه قائداً لهذا التنظيم الشعبي إن صحة تسميته وتوجيهه الوجهة التي يريد بها الخليفة الناصر ضد أعدائه الطامعين في العراق من أمثال السلاجقة وأتباعهم<sup>(30)</sup> .

وكما هو معروف إن الخليفة الناصر قد وصل إلى الخلافة والسلاجقة لازالوا متنفذين في حكم العراق ، ويعملون ما يشاؤون وفق أهوائهم . ضاربين عرض الحائط أي مظهر من مظاهر احترام الناس . فضلاً عن الخليفة العباسي الذي يستمدون منه شرعية حكمهم ، كما حجر السلاجقة على الخلفاء العباسيين وحددوا لهم خروجهم ونفقاتهم وعدد الأفراد الذين يحمون الخليفة العباسي ورواتبهم ، لا بل خلعوا من يحاول أن يجند الجند ضدهم ، واجبروا الفقهاء على إصدار فتاوى تميز خلع الخليفة وبخاصة من اخذ يعد الجند للإطاحة بهم<sup>(31)</sup> .

أخرى عليه تعيقه عن الإضرار بالخلافة<sup>(17)</sup> . وحيث أن الخليفة الناصر لم يكن لديه جيشاً كبيراً يواجه به الأعداء لذلك التجأ إلى سياسة ضرب القوى المتنافسة ببعضها<sup>(18)</sup> .

اذ كانت للخليفة الناصر حيل لطيفة ومكائد غامضة وخدع لا يفطن لها احد ، يوقع الصداقة بين ملوك متعادين وهم لا يشعرون ، ويوقع العداوة بين ملوك متفقين وهم لا يفطنون<sup>(19)</sup> .

ولكي يتم ذلك للخليفة الناصر كان لا بد له أن يكون ملماً بأخبار الخلافة ، وبأخبار السلاطين السلاجقة لهذا فقد كون لديه نظاماً للعيون بالغ الدقة والكفاءة في تزويده بدقائق الأمور وتفصيلها عن كل ما يحدث في كل مكان من الدولة<sup>(20)</sup> .

وقد أشار السيوطي إلى ذلك بقوله : ((كان الناصر شهماً شجاعاً ، ذو فكرة صائبة وعقل رصين ومكر ودهاء وله أصحاب أخيار في العراق وسائر الأطراف يطالعونه بجزئيات الأمور))<sup>(21)</sup> .

والتجأ الخليفة إلى الفتوة وكما هو معروف أن الفتوة في اللغة تعني الكرم والفتى هو الشخص الكريم<sup>(22)</sup> .

وكان للعيارين والشطار أو الفتوة دور بارز في مقاومة الوجود البوهمي في العراق<sup>(23)</sup> .

وقد ظلت حركة هؤلاء العيارين والشطار تأخذ طابعاً مختلفاً<sup>(24)</sup> .

فهذا يتهمهم بالصفات الجيدة ، وهذا يتهمهم بالصفات القبيحة وهكذا ، ففي سنة 493 هـ هجم العيارين على الجانب الغربي من بغداد ونهبوا الأسواق والمحال ، فأمر الخليفة المسترشد بالله (512-529)<sup>(25)</sup> وزيره كمال الدولة بتهديب البلد ، فأخذ جماعة من أعيانهم وطلب الباقين فهربوا<sup>(26)</sup> .

وفي سنة 512 هـ ازداد خطر العيارين بالجانب الغربي من بغداد ، فعبر إليهم نائب الشحنة

وتأمين الجبهة الداخلية، إذ حاول الخليفة الناصر فرض الاحترام لشخص الخليفة ومكانته، وتوسيع هيمنة الخلافة جغرافياً، ومنع أي قوة من تكرار فرض نفوذها والهيمنة على الخلافة مهما كانت هذه القوة داخلية كانت أم خارجية، وكل هذا من أجل الاستعداد لمجابهة قوة السلاجقة<sup>(34)</sup>.

كذلك نجد أن السلطان السلجوقي طغرل بن ارسلان لم يظهر أي تحد من اتجاه الخلافة العباسية وممتلكاتها خلال هذه الفترة، لاسيما وأنه واقع تحت حكم وسيطرة عمه الاتابك محمد بن ايلدكز ولم يكن له من السلطنة شيء سوى الاسم فقط<sup>(35)</sup>. هذا من جهة، من جهة أخرى نجد أن العلاقة بين الخليفة العباسي الناصر لدين الله والاتابك محمد بن ايلدكز كانت جيدة، فقد اظهر الأخير طاعته واحترامه للخليفة الناصر<sup>(36)</sup>.

إلا إن الاتابك محمد بن ايلدكز توفي سنة 581 هـ / 1186 م<sup>(37)</sup>.

وخلفه في السلطة أخيه قزل ارسلان بن ايلدكز (581-587 هـ)<sup>(38)</sup> وخلال هذه الفترة حاول السلطان طغرل بن ارسلان أن يستبد بالسلطة وتكون كلمته هي العليا في الحكم، فساءت العلاقة بينه وبين الاتابك قزل ارسلان فلم يستطع السلطان السيطرة على الأمور والتغلب على خصمه قزل ارسلان فهرب السلطان بعد ان انضم إليه جماعة من الأمراء<sup>(39)</sup>. إلا إن السلطان طغرل عدل عن ذلك، وحاول استرضاء الاتابك قزل ارسلان، ولا سيما وأنه أدرك إن الأمراء يميلون للاتابك محمد أكثر وذلك لكثرة أتباعه وهيئته وميل قلوب الناس إليه لتقديمه العطايات لهم<sup>(40)</sup>.

لذلك بادر بالاتفاق مع معاونيه على أن يدعوا قزل ارسلان ويعينه اتابكاً له، فكلف هذه المهمة شرف الدين الب اراكون ابن أمير البلاط ليتولى

لذا فإن الخليفة الناصر لدين الله أراد أن يعد قوة عسكرية من أهل العراق الذين هم على تماس بأحداثه، يعانون ضغط السلاجقة ويعانون ما يفعلوه بالناس، قوة عسكرية لا تتحمل الدولة تكاليفها من حيث الرواتب والملابس والتدريب والسلاح، فضلاً عن تخليص البلاد من شقاوة الغير منضبطين من هؤلاء الفتيان<sup>(32)</sup>.

وبذلك فأن الهدف والأسلوب بدا واضحاً لدى الخليفة العباسي الناصر لدين الله، فالسلاجقة لديهم الجيش النظامي والسلاح والمال والخبرة القتالية، والخليفة الناصر لديه هؤلاء الناس الذين ربطهم بنفسه وجعلهم تابعين له جاهزين لصد أي طارئ في العراق وحاول الخليفة الناصر أن يجند كل الأمراء التابعين له أو الذين يتبعونه بالولاء، ليجعلهم ضمن قوة الفتوة كشهاب الدين الغوري وصلاح الدين الأيوبي وغيرهم من أمراء الاطراف وبذلك أصبح العيارين والشطار جنداً غير نظامي في العراق عامة وبغداد خاصة. ولا سيما ونحن نعرف بأن بغداد كانت مستهدفة من كل الطامعين للحصول على التقليد من الخليفة العباسي، وفرض سيادة من يسيطر على بغداد على بقية أرجاء العالم الإسلامي من خلال الخليفة العباسي الموجود في بغداد.

## المطلب الرابع

### الدور الجهادي للخليفة الناصر في توحيد جبهة العراق والقضاء على السلاجقة

من المعروف أن بغداد وأجزاء من بلاد المشرق الإسلامي كانت خاضعة للتسلط السلجوقي في القرن السادس الهجري، لذلك اهتم الخليفة العباسي الناصر لدين الله عند توليه الخلافة (575-622 هـ)<sup>(33)</sup>. بترتيب الأوضاع الداخلية للخلافة



وكان هدمها يعد تحدا لطلب السلطان طغرل بأعمارها ، و كذلك تحدا لطلب السلطان طغرل بذكر اسمه في الخطبة في مساجد بغداد إلى جانب اسم الخليفة و الخطبة للسلاجقة في بغداد<sup>(49)</sup> . فرفض الخليفة الناصر ذلك وان ما قام به الخليفة يدل على عزم الخلافة العباسية القضاء على آخر رمز للسلاجقة في بغداد وهو دار السلطنة<sup>(50)</sup> . وبذلك فان إجراءات الخليفة الناصر هذه هي أكثر قوة و صمود بوجه السلاجقة، والوقوف بوجه طموحاتهم، فقد جهز الخليفة الناصر لدين الله جيشا كبيرا لمحاربة السلطان طغرل وكان ذلك سنة 584 هـ<sup>(51)</sup> . والوقوف إلى جانب السلطان قزل ارسلان في حين يتقدم، وعين على رئاسة الجيش العباسي وزيره جلال الدين عبيد الله بن يونس، ودفع إليه مبلغ ستمائة ألف دينار لنفقات الجيش<sup>(52)</sup> .

ولما وصل الجيش العباسي إلى همدان ، لم يلحق بالجيش العباسي السلطان قزل، فانفرد طغرل بالجيش العباسي وجرت بينهم معركة ، أشار إليها الحسن بن بقوله : (( أنها حرب شابت منها الذوائب وتهدمت صفوف الاطلاب والمقائب ))<sup>(53)</sup> .

وعلى الرغم من ثبات جيش الخلافة وقائده في بادئ الأمر إلا انه خسر المعركة وعاد جيش الخلافة إلى بغداد متفرقين ووقع الوزير أسيرا بيد السلطان طغرل الذي خاطبه قائلاً: (( ان عسكريك قد انهزمت ولم يتخلف عندك سوى الغلمان فلا تقتل نفسك ومن معك وأمر جماعة من الأمراء جءوا إليه وحملوه إلى خيمة قد نصبت له ))<sup>(54)</sup> .

وقد قال بعض الشعراء في هذه المناسبة :

اتركونا من جانحات الجريمة

طلعة طلعة تكون وخيمة

عقد الاتفاق مع قزل وأرسل معه الهدايا الثمينة إلى أذربيجان حيث كان يقيم قزل ارسلان<sup>(41)</sup> .

إذا إن هذا التنازل من قبل السلطان قد أوقع الارتياح والسرور في نفس قزل ارسلان، وان منصب الاتابك يتيح له فرصة سيطرته ونفوذه على البلاد، ولتأكيد قوته وهيئته فقد توجه بجيش جرار إلى دار الملك بهمدان فقد قبل يد السلطان في جوسقة، فوطد حكمه أكثر من ذي قبل<sup>(42)</sup> .

إلا إن السلطان طغرل بقيت نفسه تواقفة للتفرد في السلطة و ينتظر الفرصة المناسبة، لذلك اخذ يجمع القوات فأنضم إليه صاحب ابهر\*، وصاحب زنجان\*\* وصاحب مراغة\*\*\* فلما سمع قزل بذلك خرج من همدان وتوجه إلى أذربيجان<sup>(43)</sup> .

فتوجه السلطان طغرل إلى همدان ودخلها، كذلك مما عزز موقف السلطان طغرل هو حدوث خلاف بين الاتابك قزل ارسلان وأرملة أخيه اينانج خاتون وأولادها حيث فارقا الاتابك قزل واتجها إلى السلطان طغرل والتحقا بخدمته<sup>(44)</sup> .

بقي السلطان طغرل في همدان شتاء سنة 583 هـ<sup>(45)</sup> . فخشي الاتابك قزل من تنامي قوة السلطان طغرل فأرسل إلى الخليفة الناصر لدين الله يستنجده للتخلص من السلطان وبذل ما في وسعه لخدمة الخلافة<sup>(46)</sup> .

ولا سيما بعد أن تبين للخلافة نوايا السلطان طغرل وطموحاته ، بعد أن أرسل حاكم تبريز سنة 583 هـ إلى بغداد يطلب من الخليفة الناصر لدين الله تعمير بيت السلطنة للسلطان طغرل ليسكنها عند قدومه إلى بغداد<sup>(47)</sup> .

إلا أن رد الخليفة كان حازما فقد أمر بطرد رسول السلطان دون جواب وأمر بهدم دار السلطنة، فهدمت وأزيلت آثارها<sup>(48)</sup> .

بعد أن استدبت الأمور لصالح قزل ارسلان توجه إلى همدان مقر الحاكم السلجوقي فأخذ يبحث عن سلطان رمزي للسلاجقة يجلسه على عرشهم في العراق، واتجه تفكيره إلى سنجر بن سليمان شاه فأخرجه من السجن ليجلسه على العرش ووزع الاقطاعات على الأمراء، ثم توجه إلى أصفهان وتزوج بالخاتون زوجة أخيه جهان بهلون، فتأهبت له جميع أسباب الحكم ولم يلبث أن وصلتته رسالة من الخليفة الناصر لدين الله تظهر رضاه وموافقته على أن يلي قزل ارسلان نفسه عرش السلطنة فأعلن نفسه سلطاناً سنة 587هـ/ 1191م<sup>(62)</sup>.

إلا إن السلطان الجديد قزل ارسلان قد استبد بالأقاليم التي أصبحت تحت سيطرته، كما أن بقية الأمراء السلاجقة في العراق قد حقدوا عليه بسبب هذه المنزلة فتم التعاون بينهم وبين زوجته الخاتون وابنها قتلوغ اينانج بن جهان بهلون وهكذا اتفق الجميع على التخلص منه فأرسلوا إليه من قتله وهو نائم على فراشه وذلك عام 587هـ/ 1191م<sup>(63)</sup>.

تحررت مرة أخرى المنازعات والصراعات بين الأمراء السلاجقة بعد مقتل السلطان قزل ارسلان، فأستغل السلطان السلجوقي طغرل الثالث المسجون في أذربيجان ذلك وهرب من السجن واستطاع خلال مدة قصيرة أن يجمع جيشاً من أنصاره السابقين، ليتمكن بعد ذلك من استعادة السلطة من جديد حيث تمكن من دخول همدان مرة أخرى سنة 589هـ/ 1193م<sup>(64)</sup>.

بعد هذا التطور الخطير فكر الخليفة الناصر لدين الله في البحث عن قوة جديدة تكون موالية للخلافة العباسية من اجل إنهاء الحكم السلجوقي نهائياً، وكانت هذه القوة على مقربة من السلاجقة تراقب الأحداث عن كثب هذه القوة هي قوة الدولة الخوارزمية\*\*\*<sup>(65)</sup>.

بركات الوزير قد شملتنا  
فلهذا أمورنا مستقيمة  
خرجت جندنا تدير خراسا  
ن جميعاً بابها عظيمة  
واتونا ولابخفي حنين  
بوجوه سود قباح دميمة(55)

وبهذا الانتصار الذي حققه السلطان طغرل ارتفعت مكانته وشأنه، لا سيما بعد رجوعه إلى همدان سنة 584هـ/ 1188م<sup>(56)</sup>. فتوافدت إليه الأمراء والقادة لتقديم فروض الطاعة له<sup>(57)</sup>.

أما الخليفة العباسي الناصر لدين الله فقد اخذ بتجهيز الجيش وتزويده بالأسلحة والمؤن، ووضع على رأس الجيش هذه المرة القائد مجاهد الدين خالص، فخرج جيش الخلافة من بغداد متوجهاً صوب همدان في أواخر سنة 583هـ<sup>(58)</sup>. لمساعدة الاتابك قزل ارسلان في حربه مع السلطان طغرل، فلما علم السلطان طغرل بذلك غادر مدينة همدان صوب مدينة أصفهان وبذلك دخل جيش الخلافة المدينة بسهولة<sup>(58)</sup>.

ثم التقى جيش الخلافة مع جيش الاتابك قزل فأكرمه مجاهد الدين خالص وسلمه الولاية نيابة عن الخليفة الناصر لدين الله<sup>(59)</sup>.

ويبدو أن الخليفة الناصر لدين الله قد وجد في قزل ارسلان الحليف القوي الذي يضرب به السلاجقة ويحد من نفوذهم ويسترجع نفوذ الخلافة العباسية<sup>(60)</sup>.

وفي هذه الأثناء هرب السلطان السلجوقي طغرل إلى إقليم أذربيجان، وفضل قزل ارسلان يطارده حتى تمكن منه، إذ وقع أسيرا في أيدي رجال الجيش حيث سجن في قلعة بأذربيجان<sup>(61)</sup>.

## الخاتمة

بعد أن أكملت بتوفيق من الله البحث الذي توخيت فيه الرصانة والدقة العلمية للوصول إلى الحقيقة التاريخية لامتنا وتاريخها المجيد، ساحول في هذه الخاتمة تسليط الضوء على الحقائق التي تضمنها البحث .

1. كشف البحث السياسة التعسفية التي اتبعها المتغلبون من السلاجقة اتجاه الخلفاء العباسيين وأبناء الأمة العربية الإسلامية وتأثير هذه السياسة في تدهور الأوضاع السياسية والاجتماعية في بغداد خاصة والعالم الإسلامي عامة.

2. بين البحث العقلية السياسية الراجحة للخليفة الناصر لدين الله في إدارة شؤون البلاد على الرغم من إمكانية الخلافة المحدودة، لا سيما وان حدود العراق الإدارية لا تتجاوز مناطق وسط العراق .

3. أشار البحث كيف وضب الخليفة الناصر حركة الفتوة وهذبها وربطها بنفسه وجعلها قوة شعبية يستند إليها في مجابهة السلاجقة .

4. وضح البحث السياسة التي سار عليها الخليفة الناصر في ضرب القوى المتصارعة من السلاجقة بعضها ببعض من اجل إضعافهم وبالتالي التخلص منهم نهائياً .

5. كشف البحث كيف استطاع الخليفة الناصر لدين الله من استرجاع هيبته الخلافة، لا سيما بعد أن تحدى السلطان السلجوقي طغرل، عندما طلب منه الأخير ترميم دار السلطنة لينزل بها عند قدومه إلى بغداد، إلا أن الخليفة أمر بهدم الدار، فهدمت وأزيلت آثارها .

كان الخوارزميون يسيطرون على بلاد ما وراء النهر وكانت لهم حروب طويلة مع السلاجقة<sup>(66)</sup>. فأرسل الخليفة الناصر لدين الله سنة 590هـ/1195م إلى حاكم خوارزم علاء الدين تكش يرضه على طغرل ويطلب قتاله مقابل البلاد التي تحت سيطرته<sup>(67)</sup>.

فاستجاب حاكم خوارزم لطلب الخليفة الناصر لدين الله فوراً، وسار على رأس جيش كبير من نيسابور إلى الري والتقى الطرفان بالقرب من الري بمعركة ضارية في الرابع والعشرون مع ربيع الأول لسنة 590هـ/1193م، انتهت بمقتل السلطان السلجوقي طغرل وإرسال رأسه إلى بغداد<sup>(68)</sup>.

ولقد سر الخليفة بذلك وسير وزيره مؤيد الدين بن القصاب مع خلع سلطانية لعلاء الدين تكش وأمر بتوليته على جميع أقاليم السلطنة السلجوقية<sup>(69)</sup>. لم يحاول السلاجقة بعد مقتل طغرل الثالث ادعاء السلطنة فانتهت سلطنتهم نهائياً في عهد الخليفة الناصر لدين الله<sup>(70)</sup>.

هكذا انتهت بمقتل طغرل الثالث الدولة السلجوقية في العراق وان كان الخوارزميون صاروا يدعون إنهم ورثة السلاجقة إلا أنهم لم يبلغوا نفوذ سابقهم. ومهما يكن من أمر فإن الخلافة بعد مقتل طغرل صارت في حل من أي ارتباط مع السلاجقة وتمتعت الخلافة باستقلال تام، وانصرف الخليفة إلى البناء والعمران وأصبح للخليفة الناصر لدين الله نفوذ كبير وخطب له في كل أنحاء البلاد العربية الإسلامية<sup>(71)</sup>.

وبذلك قد انهي الخليفة العباسي الناصر لدين الله وجود السلاجقة في العراق مكللاً بذلك الجهود الكبيرة التي بذلت في التصدي لهم وفي مقاومتهم من قبل أبناء العروبة والعراق وأسلافه من الخلفاء العباسيين.



- تاريخ الخميس، ص 366.
7. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 291
8. ابن كثير، البداية والنهاية، ج 7، ص 157.
9. المصدر نفسه، مج 7، ص 157.
10. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 292.
11. المصدر نفسه، ص 191
12. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 292.
13. المصدر نفسه، ص 292.
14. سلطان، فتحي، تاريخ الدولة الإسلامية في العصر العباسي (334 - 656هـ)، ص 228.
15. السامرائي، خليل إبراهيم، وآخرون، تاريخ الدولة العربية الإسلامية قبي العصر العباسي، ص 334.
16. ابن كثير، البداية والنهاية، مج 7، ص 4.
17. ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 432.
18. السامرائي، تاريخ الدولة العربية، ص 335.
19. المرجع نفسه، ص 533.
20. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 291.
21. المصدر نفسه، ص 291.
22. المصدر نفسه، ص 292.
23. سلطان، طارق فتحي، التاريخ الإسلامي في العصر العباسي (334-656هـ)، دار ابن لطباعة والنشر، 2008، ج 2، ص 224.
24. المرجع نفسه، ص 224.
25. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 280.
26. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 10، ص 301.
27. المصدر نفسه، ج 10، ص 545.
28. المصدر نفسه. ج 11، ص 45.
29. الذهبي، العبر في خير من غير، ج 4، ص 232.
30. عزام، خالد، موسوعة التاريخ الإسلامي في العصر العباسي، أسامة لنشر والتوزيع، الأردن- عمان، ط 1، 3-2م، ص 267.
31. سلطان، التاريخ الإسلامي، ج 2، ص 226.
32. المرجع نفسه، ج 2، ص 226.
33. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 291.

6. أشار البحث إلى اتصال الخليفة الناصر لدين الله بالدولة الخوارزمية من اجل مسانده في التخلص من السيطرة السلجوقية، فاستجاب محمد خوارزم شاه لنداء الخليفة واستطاع من القضاء على السلطان السلجوقي طغرل سنة 590هـ. وبالتالي بمقتل السلطان طغرل انتهت الدولة السلجوقية في العراق.

### الهوامش

1. ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر (ت: 774هـ)، البداية والنهاية، راجعه وخرج حديثه وعلق عليه محمد محمد ثامر وشريف محمد، دار البيان العربي للنشر والتوزيع، مصر 10037هـ/ 2006م، مج 7، ص 157.
2. الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن المالكي (ت: 928هـ/ 1574م)، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، (بيروت-لا.ت)، ص 366؛ القرماني، أبي العباس احمد بن احمد الدمشقي (ت: 1019هـ/ 1610م)، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، عالم الكتب، (بيروت-لا.ت)، ص 178.
3. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بكر (ت: 911هـ/ 1505م)، تاريخ الخلفاء، اعنتى به وائل شرقي، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت - 2008م، ص 291.
4. ابن الأثير، أبي الحسن علي بن الكرم محمد بن بمحمد بن عبد الكريم (ت: 630هـ/ 232م) كامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت - 1978، ج 9، ص 361.
5. ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي (ت: 697هـ/ 1297م) مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى بني العباس، تحقيق مصطفى جواد، بغداد 1390هـ- 1970م، ص 244.
6. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 291؛ الديار البكري،

34. الجومرد ، جزيل عبد الجبار ، قادر ، نزار محمد ، اثر الخلافة العباسية في تكوين العلاقات السياسية بين قوى الأطراف الإسلامية ، مجلة درست الأردنية للعلوم الإنسانية والاجتماعية ، مج 24 ، العدد الثاني ، 1997م ، ص 444 .
35. ابن الأثير ، الكامل ، ج 9 ، ص 361 .
36. الحسيني ، صدر الدين أبو الحسن علي بن أبي الفوارس (ت: 622هـ) أخبار الدولة السلجوقية ، نشر محمد إقبال ، طبعة لاهور 1933م ، ص 172 .
37. الحسيني ، أخبار الدولة السلجوقية ، ص 378 .
38. أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، ج 3 ، ص 70 .
39. الحسيني أخبار الدولة السلجوقية ، ص 174 .
40. الراوندي ، محمد بن علي بن سليمان (ت: 599هـ) راحة الصدور وآية السرور ، نقله إلى العربية إبراهيم أمين وعبد المنعم حسين وآخرون ، راجعه ونشر مقدماته إبراهيم أمين ، مطبعة دار القلم ، القاهرة 1960 - ، ص 471 .
41. المصدر نفسه ، ص 471 .
42. المصدر نفسه ، ص 472-473 .
- \*أبهر : مدينة مشهورة بين قزوين وهمدان من نواحي الجبل وللمزيد ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج 2 ، ص 485 .
- \*\*زنجان : مدينة كبيرة ومشهورة في نواحي الجبال وهي قريبة من أبهر وقزوين . الحموي ، معجم البلدان ، ج 3 ، ص 152 .
- \*\*\*مراغة :- من نواحي أذربيجان غربي تبريز . وللمزيد ينظر : البغدادي ، عبد المؤمن عبد الحق ، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، ج 3 ، تحقيق على محمد ، دار أحباء الكتب العربية (1374) ، ص 125 .
43. الرواندي ، راحة الصدور ، ص 476 .
44. الحسيني ، أخبار الدولة السلجوقية ، ص 176 .
45. بن الأثير ، الكامل ، ج 9 ، ص 188 .
46. اليافعي ، مرآة الجنان ، ج 3 ، ص 226 .
47. ابن الأثير ، الكامل ، ج 9 و ص 189 .
48. الجبوري ، حمد اسود ، العلاقات بين الخلفاء العباسيين والسلطنات السلاجقة (447-590هـ) رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية التربية جامعة تكريت ، 2005م ، ص 152 .
49. المرجع نفسه ، ص 152 .
50. الحسيني ، أخبار الدولة السلجوقية ، ص 178 .
51. المصدر نفسه ، ص 177 .
52. المصدر نفسه ، ص 177 .
53. ابن خلدون ، العبر ، ج 3 ، ص 529 .
54. ابن الأثير ، الكامل ، ج 12 ، ص 25-26 .
55. الحسيني ، أخبار الدولة السلجوقية ، ص 178 .
56. الراوندي ، راحة الصدور ، ص 483 ، عزام ، خالد ، موسوعة التاريخ الإسلامي في العصر العباسي ودار أسامة للنشر والتوزيع ، ط 1 و (الأردن 2003-م) ، ص 267 .
57. الراوندي ، راحة الصدور ، ص 483 .
58. الراوندي ، راحة الصدور ، ص 483 .
59. الحسيني ، أخبار الدولة السلجوقية ، ص 178 .
60. عزام ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ص 268 .
61. الحسيني ، أخبار الدولة السلجوقية ، ص 180 .
62. الراوندي ، راحة الصدور ، ص 105 .
63. ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ح 4 ، ص 289 .
64. ابن الأثير ، الكامل ، ج 9 ، ص 230 .
- \*\*\*الدولة الخوارزمية : نشأت الدولة الخوارزمية (490-628هـ) في الإقليم المعروف بإقليم خوارزم الذي يحده من الغرب والشمال بلاد الترك الغزية ، ومن الجنوب خراسان ، ومن الشرق بلاد ما وراء النهر . للمزيد ينظر الاضطخري ، مسالك والممالك ، ص 299 ، ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص 277 .
65. عزام الموسوعة التاريخ الإسلامي ، ص 268 .
66. ابن الأثير ، الكامل ، ج 9 ، ص 230 .
67. المصدر نفسه ، ج 9 ، ص 230 .
68. ابن الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص 245 .
69. ابن الأثير ، الكامل ، ج 9 ، ص 230 .
70. عزام ، موسوعة التاريخ الإسلامي في العصر العباسي ، ص 269 .
71. السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص 292 .